مجلة الدراسات الفلسطينية، المجلد 15، العدد 60-61 (شتاء 2004)، ص 172

قراءة خاصة

روبرت مالي*

إسرائيل ومسألة عرفات**

Dennis Ross, *The Missing Peace: The Inside Story of the Fight for Middle East Peace*. New York: Farrar, Straus and Giroux, 2004.

أولاً

قليلة هي قضايا السياسة الخارجية الأميركية التي ارتبطت كلياً في الذهن برجل واحد، كما ارتبطت عملية السلام العربي – الإسرائيلي بدنيس روس. فخلال الأعوام الأربعة الأولى من إدارة الرئيس بوش، لا بل أكثر من ذلك، خلال الأعوام الثمانية من ولاية كلينتون، كان دنيس روس هو العملية، إذ سمح له بأن يعمل مستقلاً عن المؤسسات البيروقراطية، فراح يصمم بصورة شخصية استراتيجيا الولايات المتحدة للمفاوضات في الشرق الأوسط، ثم يعنى بتنفيذها. حضر روس كل اجتماع مهم؛ وهو يمتلك ذاكرة هائلة، وقدرته على تسجيل الملاحظات كانت أسطورية. وهذا كله يجعل كتابه حرياً بالقراءة، وروايته للوقائع عسيرة على التكذيب، واستنتاجاته أولى بالتمحيص الدقيق.

روس يستعصي على التصنيف السهل. لقد نشط فترة طويلة جداً في الحزب الديمقراطي، وعمل في حملتي روبرت كندي وجورج ماكغفرن، ثم انضم إلى إدارة ريغن فإدارة بوش [الأب]. ونقل مع وزير الخارجية جيمس بيكر من وزارة الخارجية إلى البيت الأبيض في محاولة لإنقاذ فرص الرئيس [بوش الأب] الضئيلة في إعادة الانتخاب (وبالمناسبة اقترح روس حينها أن يستبعد بوش دان كوايل من فريقه ويستعيض عنه بكولن باول)، ومع ذلك احتفظت به إدارة كلينتون وعيّنته منسقاً خاصاً للشرق الأوسط.

هاجم كثيرون من العرب روس لاعتقادهم أن عقيدته اليهودية أعمته، كما هاجمه بعض اليهود لاعتقادهم أنه يتعامى عنها. واعتبره عرفات، في أشد أوقات غضبه،

(*) مدير "برنامج الشرق الأوسط" في مجموعة "إنترناشيونال كرايسز غروب". وكان المساعد الخاص للرئيس كلينتون للشؤون العربية – الإسرائيلية في الفترة 1998 – 2001.

(**) **المصدر:** *The New York Review of Books*, vol. 51, no. 15, October 7, 2004, pp. 6-10.
ترجمة: حسني زينة.

مسؤولاً عن فشل عملية السلام، وإن كان طلب في أوقات أُخرى وساطته للتدخل، وطلب الرئيس السوري، حافظ الأسد، من كلينتون أن يستبعده من الفريق [الأميركي] (غير أن كلينتون رفض بأدب وحزم). واستهل رئيس الحكومة الإسرائيلية، براك، ولايته بتبليغ كلينتون أن لا صبر له على "البيروقراطيين" (وهو وصف غير ملائم، غير أن الهدف كان واضحاً)، لكنه أنهى تلك الولاية بمحاصرة روس بالمكالمات الهاتفية. لقد كان روس يتنقل بين الاحتفاظ بأفكاره لنفسه وبين العمل كعضو في فريق. وبما أنني كنت عضواً في ذلك الفريق مدة ثلاثة أعوام، فإنني أشهد على أنه لم يتهرب قط من نقاش جيد، وإنما كان يحبذه كثيراً. وأخيراً، في مهنة يميل العاملون فيها إلى إبراز الذات بحدة، استطاع روس أن يبقى في منصبه بفضل دماثة السلوك والتفوق في امتلاك الحقائق، حتى أنه من صانعي السياسة القليلين جداً الذين يمكنهم أن يخدموا في إدارة يرئسها كيري أو بوش، سواء بسواء.

"السلام المفقود" هو عدة كتب تتضمنها دفتا كتاب واحد. إنه قصة عملية السلام الإسرائيلية – الفلسطينية، والمحاولة في سنة 1999 وسنة 2000 للوصول إلى تسوية نهائية، وجهود إدارة كلينتون للتوسط في صفقة بين إسرائيل وسورية، وانخراط روس في كل ذلك. إنه رواية منصفة بكل ما تستدعيه الكلمة من معان: عملية السلام كما رآها، الكلمات كما قيلت – إلى حد أنه وإن كان يكتب بعد مضي فترة من الزمن، فإن أثراً من ذلك لا يظهر. لكن ما سيتوق إليه القارئ، وقد يكون مدار اختلاف معه، هو تحليل روس لما أدى إلى تعثر اتفاق أوسلو، وإلى فشل كامب ديفيد، وماذا دهى ياسر عرفات.

ثانياً

صمم اتفاق أوسلو سنة 1993 عملية كان القصد منها أن تحل الصراع الإسرائيلي – الفلسطيني بالتدريج. تتنازل منظمة التحرير الفلسطينية عن العنف، وتتعهد بمكافحة الإرهاب. وتنسحب إسرائيل، كخطوة أولى، من معظم قطاع غزة المحتل، باستثناء المستوطنات اليهودية، ومن مدينة أريحا في الضفة الغربية. وكان من شأن عمليات إعادة الانتشار أن تلي ذلك، وأن تتولى سلطة فلسطينية حديثة التكوين السيطرة على هذه المناطق.

وبحسب ما نص عليه اتفاق أوسلو 2، فإنه كان يتعين على إسرائيل، بموجب الاتفاق الانتقالي الذي تم توقيعه في أيلول/سبتمبر 1995، أن تعيد انتشار قواتها في الضفة الغربية على مراحل إلى "مناطق عسكرية محددة"، بما يمكّن الفلسطينيين من إدارة مزيد من الأراضي (وإن بدرجات متفاوتة). وعشية محادثات التسوية النهائية للصراع، التي كان يفترض أن تبدأ بعد عامين وأن تتم بحلول 4 أيار/مايو 1999،

كان من المفترض أن تكون الولاية القانونية للسلطة الفلسطينية امتدت على كامل الضفة الغربية وقطاع غزة، باستثناء بعض الأماكن – القدس الشرقية، والمستوطنات الإسرائيلية، والمواقع الأمنية – التي سيجري التفاوض بشأنها في هذه المحادثات. وبقدر ما كان اتفاق أوسلو مفصلاً بالنسبة إلى الخطوات الانتقالية، فقد سكت عن النتيجة النهائية، ولم يقل أي شيء عن الوضع النهائي للأراضي، ومصير المستوطنات اليهودية، وحل مسألة القدس واللاجئين الفلسطينيين، أو بشأن إنشاء دولة فلسطينية. وكان المأمول أن تعالج هذه المسائل بعد أن يكون الفريقان عززا الثقة المتبادلة.

غير أن الأمور سارت على غير ما كان مخططاً. فقد أنشئت السلطة الفلسطينية، وبدأت القوات الإسرائيلية إعادة الانتشار (وإن مع بعض التأخير)، ومنح الفلسطينيون الولاية القانونية على 90٪ من شعبهم في الضفة الغربية وغزة، وتعاون الفريقان على القضايا الأمنية بين وقت وآخر. لكن المهل القصوى تم تجاهلها تكراراً. وعانت إسرائيل جرّاء هجمات إرهابية فتاكة. والعداء لإسرائيل، الذي كان يظهر في الصحافة والإذاعة والتلفزة الفلسطينية والمساجد، ظل بلا حسيب. وفي المقابل، تنامت المستوطنات في الضفة الغربية بسرعة، واستمرت إسرائيل في مصادرة الأراضي الفلسطينية، وحافظت من خلال تشكيلة من التدابير الاقتصادية والسياسية والعسكرية على سيطرة محكمة على حياة الفلسطينيين. وبحلول التاريخ المتوقع لإنهاء مفاوضات الوضع النهائي، لم تكن هذه المفاوضات قد بدأت أصلاً. وعندما اجتمع براك وعرفات من أجل الشروع فيها سنة 2000، كان ما زال على إسرائيل أن تنجز جدول انسحاباتها، وكانت لا تزال تحتفظ بنحو 30٪ من قطاع غزة وأقل قليلاً من 60٪ من الضفة الغربية. وظلت الجماعات الفلسطينية المسلحة ناشطة. وكان انعدام الثقة المتبادل بلغ ذروته. وفي أيلول/سبتمبر 2000، وبُعيد انهيار قمة كامب ديفيد بين كلينتون وبراك وعرفات، انفجر العنف انفجاراً كاملاً.

لماذا انهارت العملية التي نص عليها اتفاق أوسلو؟ لا يخطئ المرء عندما يقول إنها انهارت جرّاء سلسلة من الحوادث المأساوية. لكن على الرغم من المهل المفوّتة والالتزامات غير المستوفاة، فإن رئيس الحكومة رابين وعرفات، اللذين كانا على رأس القيادتين الإسرائيلية والفلسطينية عند توقيع اتفاق أوسلو، نجحا في تطوير علاقة بناءة، انتهت في تشرين الثاني/نوفمبر 1995 عندما اغتيل رابين على يد متطرف إسرائيلي. ومع أن خلفه شمعون بيرس كان ملتزماً بأوسلو، فقد حول انتباهه إلى سورية، معتقداً أن إمكان الاتفاق معها كان وشيكاً، وأن التقدم السريع مع الفلسطينيين قد يستعدي الناخبين.

في شباط/فبراير وآذار/مارس 1996 قضت أربع عمليات استشهادية لحركة "حماس" على آمال بيرس الانتخابية. وعندما ذهب الإسرائيليون إلى صناديق الاقتراع

لم يكن في طليعة اهتماماتهم اغتيال رابين، وإنما مقتل 62 إسرائيلياً. وفي أيار/مايو 1996، منحوا بنيامين نتنياهو انتصاراً هزيلاً. وبات هذا العدو الشرس لاتفاق أوسلو (كان يشبّهه بالموافقة على هدف منظمة التحرير بالقضاء على الدولة اليهودية) رئيساً للحكومة والمكلف وضعه موضع التنفيذ. ومع أنه وقّع على مضض بضعة اتفاقات انتقالية تغطي الانسحابات الإسرائيلية والإجراءات الأمنية الفلسطينية خلال الفترة 1996 – 1999، إلاّ إنه كان، بحسب كلمات روس، يتخذ بانتظام "الخطوات الكفيلة بتهدئة قواعده الانتخابية اليمينية... والتي تلهب الرأي العام الفلسطيني."

وفي رواية روس لعملية أوسلو تؤدي الأقدار التاريخية دوراً مهماً، وإن لم يكن الدور الوحيد أو حتى الدور المركزي. وفي رأيه أن المأساة كانت أمراً لا مفر منه، لكن المسألة الأهم هي لِمَ كانت هذه العملية على قدر من الهشاشة جعلها طعماً للمأساة. وتؤدي تفسيراته في جوهرها إلى أمر واحد: استمرار الطرفين في السلوك الهدام. افترض اتفاق أوسلو أن الخطوات المتخذة خلال الفترة الانتقالية ستساعد الطرفين على تعلم العيش معاً وتسوية المسائل الأعوص فيما بينهما. إنما بدلاً من ذلك استمر الفلسطينيون في التحريض على العنف، وأطلقوا المشتبه في أنهم إرهابيون من سجونهم، وفشلوا في نزع سلاح المنظمات المتطرفة. أمّا إسرائيل فأخرت انسحاباتها من الأراضي، ووسعت المستوطنات، وصادرت الأراضي، وهدمت المنازل، وفرضت قيوداً على حركة الفلسطينيين. الفلسطينيون الذين تعرضوا باستمرار للإذلال والظلم رأوا احتلالاً أشد قسوة. ورأى الإسرائيليون العرضة للهجمات الفتاكة استمراراً في العنف.

ويعزو روس هذا الإخفاق إلى عجز الفريقين عن "تغيير" أنفسهما ومقاومة ضغوط السياسة المحلية. ويرى أنه لمّا كانت القيادة الفلسطينية بزعامة عرفات تفتقر إلى الشرعية الديمقراطية فقد كانت تتلكأ في مواجهة حركة "حماس" أو الجهاد الإسلامي، بل كانت تلجأ بدلاً من ذلك إلى تهدئتهما باعتماد خطابة مناوئة لإسرائيل. أمّا القادة الإسرائيليون، فكانوا يشعرون في بيئتهم السياسية المفتتة والتنافسية بأن عليهم الاستجابة لمطالب قواعدهم الانتخابية اليمينية أو شركائهم في الائتلاف. فكلما جرت عملية استشهادية، كان نتنياهو بانتظام يعلق المفاوضات، أو يجمد عملية تطبيق الاتفاقات. وبالنسبة إلى الاستيطان لم يكن نتنياهو وحده من استمر فيه، بل استمر أيضاً رابين وبيرس وبراك في بناء المستوطنات وذلك من أجل تقوية نفوذهم السياسي، وصد معارضة جماعات المستوطنين والأحزاب الدينية المتطرفة. لقد حنث الفريقان في التزاماتهما، واستعمل كل منهما خرق الآخر ذريعة لتغطية تنصله. ويعلق روس قائلاً: "كان كل اتفاق انتقالي يولد مزيداً من الارتياب من العملية بدلاً من الثقة بها."

بات تفسير روس لفشل أوسلو مقبولاً اليوم بصورة عامة، وإن كان بعض نقاده

يذكر عدة أسباب أُخرى. سعى روس وإدارة كلينتون للاحتفاظ برعاية الولايات المتحدة الحصرية للعملية السلمية، وقاوما أي تدخل أوروبي ممكن ومفيد، وخصوصاً أي تدخل عربي. وكان عدم إيلاء الدول العربية أي دور أصيل في العملية بمثابة إعفاء لها من أية مسؤولية عن نجاحها. ومما تعرض للنقد الشديد أيضاً ما وصفه آرون ميلر، نائب روس خلال هذه المدة، بميل الولايات المتحدة إلى التخلي عن استقلالها في الحكم والتنازل عنه لمصلحة التفضيلات الإسرائيلية. كما ينتقد آخرون ما درجت عليه الولايات المتحدة من تصميم المقترحات مع إسرائيل قبل محاولة بيعها للفلسطينيين. ويكتب روس:

> *"الترويج" بات جزءاً من أسلوب عملنا – مبتدئين بنمط اتسمت به إدارتا بوش وكلينتون. كنا نأخذ الأفكار الإسرائيلية، أو تلك التي يمكن أن يقبل بها الإسرائيليون، ونشتغل عليها، محاولين زيادة جاذبيتها للعرب، بينما نحاول إقناع العرب بتقليص توقعاتهم.*

لكن أكثر الانتقادات شيوعاً هو أن روس شدد على العملية أكثر مما ركز على المضمون، مواصلاً المحادثات كأنها غاية في حد ذاتها. فكثيراً ما كان يسعى لردم الهوة باللجوء إلى الغموض البناء، أي إلى تغطية الخلافات العميقة بصيغ لغوية بارعة، تتيح لكل من الإسرائيليين والفلسطينيين الاعتقاد أنهم حصلوا على ما كانوا يريدونه، حتى عندما تكون الأمور التي يطلبونها متناقضة فيما بينها. غير أن روس يقر بهذا العيب. وهو يصف دوره خلال حكم نتنياهو بـ "أنه الإجبار على عقد الاجتماعات والتوصل إلى الحد الأدنى من التفاهمات التي تحافظ على الهدوء واستمرار الحوار السياسي." وبصورة عامة، يرى روس "أن كل عملية تفاوض تتضمن في ذاتها بذور مسوغاتها. وفي كثير من الحالات تصبح العملية قادرة على الاستمرار، وبالتالي غاية في حد ذاتها."

أمّا بالنسبة إلى ما يجب عمله، فيقول روس إنه عدم السماح بتطور واقع حول طاولة المفاوضات، وآخر – أكثر تعادياً – على الأرض. وفي هذا المجال لم تكن الولايات المتحدة على مستوى مسؤوليتها، وأخفقت في محاسبة الإسرائيليين أو الفلسطينيين؛ فمن أجل السلام تجاهلت أعمالاً تنسفه. "فكثيراً ما امتنعنا من إلقاء التبعة على هذا الطرف أو ذاك خوفاً من قطع عملية واعدة جداً." وهو يدعو الولايات المتحدة إلى التشديد في المستقبل على أن يقبل كل من الفريقين قواعد سلوك معين، وإلى جعل انخراطها في العملية يعتمد على "تهيئة الرأي العام للتسوية، وعلى وفاء كل من الفريقين بالتزاماته والتصرف بطريقة تليق بأهداف عملية التفاوض."

ثالثاً

يثير تحليل روس مسألة مركزية: هل ينسجم الحل الذي يقترحه مع التحليل النقدي الذي يقدمه؟

إذا ما سلّم المرء بتفسير روس القائل بأن السياسات الداخلية هي التي دفعت الجانبين بعيداً عن روحية أوسلو – وأنا لا أجد أساساً لإنكار ذلك – فمن الصعب أن نرى ما الذي كان من شأنه أن يقرِّبهما. "التغيير" غاية نبيلة، وإن كان نادراً ما يتحقق عبر النيات النبيلة وحدها؛ فقد كان يستلزم توازناً جديداً في القوى بين الفريقين، وهو أمر لم يتحقق قط. فالقادة الفلسطينيون والإسرائيليون لم يتنصلوا من مسؤولياتهم لأنهم أخفقوا في تقدير أوضاعهم الداخلية، لكن لأنهم كانوا يفهمونها تماماً. ويرى روس أنه كان على الولايات المتحدة أن تمارس عليهم ضغوطاً أشد. لكن لا الضغط الأميركي الأشد ولا التنديد العلني بالفريقين كان من شأنهما أن يعدلا حساباتهما السياسية. ربما كان من شأن ضغط الولايات المتحدة الحقيقي المقرون بعقوبات ملموسة أن يخلف أثراً، لكن بينما يستطيع المرء أن يتصور عقوبات أميركية على الفلسطينيين، فمن غير المعقول أن تفرض مثيلتها على إسرائيل. ويبيّن روس مدى صعوبة الضغط علانية على إسرائيل بسبب "المشكلات السياسية المحتملة هنا"، وليس من سبب للاعتقاد أن هذه المشكلات سوف تتناقص.

علاوة على ذلك، فإن تعليق العملية – أي عدم فرض العقوبات – من شأنه، بحسب قول روس، أن يقود مباشرة إلى حائط مسدود آخر. وعلى ما يقر روس، وعلى ما مارسه تكراراً، فإن الولايات المتحدة في ظل كلينتون لم ترغب في الابتعاد عن عملية السلام خوفاً من انهيارها؛ وحتى لو كانت مالت إلى الابتعاد، لكان روس نصح لها عدم الإقدام على ذلك. والحقيقة أنه يسوق بعض أشد انتقاداته ضد انفصال إدارة بوش الحالية عن الصراع، حتى إنه يصل إلى الاستنتاج، في ضوء العنف المستمر، "أن ثمن عدم وجود عملية سلام لم يكن قط أوضح مما هو الآن." وروس، إمّا أنه يعتقد أن التراجع عن العملية هو الطريقة الوحيدة لإجبار الأطراف المتصلبة على التزام تعهداتها، وإمّا يعتقد أنه الطريقة الوحيدة لمزيد من الدمار: لا يمكن [للتراجع] أن يكون الأمرين معاً.

كل ما يكتبه روس في صدد السياسة الإسرائيلية، أو الفلسطينية، وحتى الأميركية، يشير إلى خلل في صميم عملية أوسلو لا يواجهه مطلقاً: كان هناك فشل منذ البداية في معالجة القضايا المحورية وتحديد شكل السلام الدائم.[1] وقد استجر ذلك عدة عواقب وخيمة. فبدلاً من تشجيع "التغيير" الذي يرغب فيه روس، ساهم اتفاق أوسلو في اجتنابه. ونظراً إلى أن الطرفين لم يُطالَبا بالقبول بنتيجة قائمة على التنازلات، فقد كان في وسعهما التزام خطوات انتقالية من دون التنازل عن مواقفهما الأساسية

المتعارضة. فقد باع القادة الإسرائيليون الاتفاق لشعبهم باعتباره أداة لتعزيز الأمن بتكلفة متدنية، وباعه القادة الفلسطينيون لشعبهم باعتباره طريقة لاستعادة الأرض بالحد الأدنى من التنازلات.

وإذ بقي الهدف النهائي غير محدد، فقد سعى كل من الطرفين لتعزيز موقعه التفاوضي. ولمّا كانت إسرائيل تشك في قبول الفلسطينيين بدولة يهودية، فقد كرهت التنازل عن الأرض. ولمّا كان الفلسطينيون يشكّون في استعداد إسرائيل للانسحاب من كل الأراضي المحتلة، فقد تلكأوا في التخلي عن استعمال العنف الذي اعتبروه وسيلتهم الوحيدة للضغط. ونظراً إلى أن الفريقين كانا عاجزين عن تسويغ التنازلات بالإشارة إلى الجائزة النهائية، فلم تتوفر لأي منهما الإرادة السياسية لمواجهة الخصوم – من مستوطنين، وإسلاميين، وسواهم – الذين كانوا يستطيعون الإشارة إلى التكاليف الظاهرة للتسوية مع تقليل أهمية مكاسبها الوهمية.[2]

النتيجة التي يفضي إليها تحليل روس هي أنه يجب أن تقلب العملية رأساً على عقب، بأن تسعى الولايات المتحدة لوصف نهاية اللعبة منذ البداية، ومن ثم تحصل على موافقة الطرفين على سبل الوصول إلى ذلك لاحقاً. ومع أن روس لا يشير إلى هذا الإمكان مباشرة، فإن المرء يشعر بأنه لا يحبذه. وفي إشارة ضمنية منه إلى الحجة القائلة بأن على الولايات المتحدة أن تقدم اقتراح تسوية سلمية شاملة، يكتب روس:

> *الدور الأميركي الأهم لا يتمثل في وضع رؤيتنا للحلول على الطاولة... في نهاية المطاف، ربما تكون أعظم مساهمة تقدمها الولايات المتحدة للسلام هي الوقوف في وجه الجهود الرامية إلى فرض الحلول.*

إنها لنتيجة مثيرة للدهشة حقاً إذا ما أخذنا في الاعتبار أمرين: أولهما أن مقترحات كلينتون للتسوية النهائية (والتي كانت لروس اليد الطولى فيها)، والتي قدمت في وقت متأخر إلى الإسرائيليين والفلسطينيين في كانون الأول/ديسمبر 2000، قد يكون لها تأثير أبقى من أية مبادرة أميركية أُخرى؛ وثانيهما أن قرار تقديم مقترحات براك في آذار/مارس 2000 إلى الرئيس السوري حافظ الأسد في جنيف بدلاً من التقدم بأفكار أميركية أصيلة (وهو خطوة يصفها روس، على نحو مستغرب، بـ "الحكيمة")، ربما يكون هو ما قضى على أية احتمالات كانت متبقية لاتفاق إسرائيلي – سوري في ذلك الوقت.[3]

وهي أيضاً نتيجة مشكوك فيها جداً، إذ إن رسم الخطوط العريضة لحل نهائي وترويجه بالتعاون مع الشركاء العرب الأساسيين أمر من شأنه أن يعبئ القواعد المعتدلة لدى الطرفين لتأييده، وأن يساعد في عملية تغيير الفريقين أكثر من أي شيء يقترحه روس. وإذ يستبعد روس هذه المقاربة فهو يخلط بين فكرتين: تقديم التصور

الأفضل للحل، وفرضه. أنا أوافقه على رفض فكرة التسوية المفروضة، وذلك على أساس مبدئي وبراغماتي، غير أنني أخالفه في أنني أعتقد أن الولايات المتحدة إذا ما قدمت فكرة واضحة عن نتيجة مرغوب فيها، تستند إلى تاريخ مفاوضات الطرفين وتحافظ على مصالحهما الحيوية، فسوف تحسن فرص السلام.

رابعاً

هنالك تناقض في صميم رواية روس، تناقض يوصلنا إلى قضية تشغل باله بوضوح. فهو يكرس صفحات لا تحصى لتعقيدات المفاوضات الإسرائيلية – الفلسطينية، شارحاً أسباب إخفاقها. غير أنه يقدم أيضاً نظرية أُخرى – من الصعب معرفة إن كانت بديلة أم مكملة – خلاصتها كلمة واحدة: عرفات.

عرفات هو "السلام المفقود" في العنوان. فالكتاب يُفتتح بالزعيم الفلسطيني ويختتم به. إن روس ينحي باللائمة على إدارة جورج بوش الابن في كل الأمور باستثناء أمر واحد، مسلماً بأن "الرئيس بوش والمحيطين به كانوا محقين في الاعتقاد أن الولايات المتحدة تساهلت مع عرفات أكثر من اللازم." فقد فشل اتفاق أوسلو، فيما يرى، لأن لا الإسرائيليين ولا الفلسطينيين قاموا بالتغيير المنشود. ويضيف أن رابين قام بقفزة سيكولوجية ثورية عندما اعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية سنة 1993، بينما عرفات اعترف بإسرائيل "لا من منطلق أنه أقدم على خيار، وإنما لأن لا خيار كان أمامه" – وكأن الاعتبارات العملية والبراغماتية (كالانتفاضة الفلسطينية الأولى وأعباء الاحتلال) لم تكن أيضاً من هموم رابين. "والأمر الأكيد"، يضيف روس، "هو أنني ما كنت لأكتب هذا الكتاب اليوم عن إخفاقات أوسلو لولا عرفات."

إن تركيز روس السقيم على الزعيم الفلسطيني إنما هو مثال للمقاربة ذات النمط الشخصي التي اتسمت بها عملية السلام، لكن آراءه يجب ألاّ ينظر إليها بخفة. فالواقع أن ما من مسؤول أميركي رفيع المستوى تعامل مع عرفات أو شاهد عرفات عدداً من المرات أكثر منه، ولا يمكن لأي مسؤول كهذا أن يتعامل معه أو يشاهده في المستقبل بهذا المقدار ما لم تحدث معجزة ثورية في الدبلوماسية الأميركية. إدانة روس لعرفات صريحة وواضحة. فقد رفض نزع الشرعية عن العنف، وإعداد شعبه للسلام، والتوصل إلى اتفاق سواء في تموز/يوليو 2000 في كامب ديفيد، أو في كانون الأول/ديسمبر 2000 يوم قدم كلينتون مقترحات للحل. وهذا السجل يبرهن أن عرفات "لم يطرأ عليه أي تغيير"، و"لا كان قادراً على التخلي عن الأساطير الفلسطينية"، و"لا كان قادراً على التسوية أو التنازل من أجل إنهاء الصراع." وفي تعليق قد يجد كثيرون أنه ينطوي على شيء من المفارقة، إذ إنه ينطبق بالأحرى على قائله، يقول روس: "كان في وسعه أن يعيش مع العملية لا مع نتائجها." وحكمه النهائي هو أن ياسر عرفات "برهن بصورة

قاطعة أنه لا يستطيع أن ينهي الصراع."

هل كانت التسوية مع عرفات ممكنة؟ روس محق طبعاً – بمعنى التكرار اللفظي – في أنه لو قبل عرفات بالتسوية لحدثت تسوية. لكن ثمة قفزة هائلة من هنا (ناتجة، فيما أظن، من الإحباط بقدر ما هي ناتجة من المنطق) إلى الاستنتاج أن عرفات غير قادر على إنهاء الصراع، وأن هذا وحده كان سبب انهيار كامب ديفيد. وقد وضعنا، حسين آغا وأنا، في مقال سابق نشر في هذه المجلة الزلات والتقديرات المغلوط فيها، الفلسطينية والإسرائيلية والأميركية، وخصوصاً العوامل المتعددة التي استجرت موقف الفلسطينيين غير المتجاوب في كامب ديفيد.[4]

كان الفلسطينيون يعتقدون أن القمة سابقة أوانها، واعتبروها خدعة أميركية – إسرائيلية لإكراههم على القبول سريعاً بتسوية تشوبها العيوب. وكان وفدهم يعاني انقسامات عميقة، وكانت المعارضة الشعبية في الوطن كثيفة، ولم تكن الدول العربية – التي أُبعدت عن كامب ديفيد – حاضرة، سواء لتشجيع عرفات أو للضغط عليه. وكان هناك أيضاً عداوة عرفات لبراك الذي كان يسعى، مثلما اعتقد عرفات، للتنصل من الالتزامات، وفرض جدول أعماله وتكتيكاته، وإذلال الفلسطينيين إجمالاً، والتلاعب بهم، والكيد لهم. ويحاول روس على امتداد كتابه أن يقنعنا، وينجح في ذلك، بأن عرفات يبذل دائماً قصارى جهده ليؤجل القرارات بدلاً من اتخاذها، وأن مزيجاً مناسباً من الضغوط والحوافز مطلوب لجعله يختار. ومن هذا المنظور، أقل ما يمكن أن يقال عن ظروف كامب ديفيد إنها كانت غير مثالية.

ومع أن الرواية التقليدية (إن الفلسطينيين رفضوا عرضاً إسرائيلياً سخياً، ورفضوا حق الدولة اليهودية في الوجود، ثم انقلبوا إلى العنف) لا تزال سائدة، فإن ما يسمى الروايات "التصحيحية" لكامب ديفيد بات يحظى بآذان أكثر إصغاء. ويقدم كتاب "أحلام محطَّمة" (*Shattered Dreams*)، للصحافي الفرنسي شارل أندرلين، الذي أجرى مقابلات مع المشاركين من الأطراف كلها، دعماً مقنعاً للفكرة القائلة بأن المسؤولية عن الفشل اشترك فيها الجميع.[5] كما قدم أعضاء في فريق براك، وشاهدان أميركيان هما آرون ميلر ومارتن إنديك (السفير الأميركي لدى إسرائيل في ذلك الوقت)، تحليلات مرهفة تفسر انهيار المحادثات نتيجة عدة عوامل، غير عجز عرفات عن إنهاء الصراع: إهمال الفلسطينيين والتركيز على المسار السوري في الأشهر الأولى لولاية براك؛ انعدام الثقة المتبادل بين عرفات وبراك؛ اللامبالاة الأميركية حيال الديناميات الفلسطينية الداخلية؛ العيوب القائمة في الحل المقترح.

يأتي روس كثيراً إلى ذكر هذه العوامل في روايته الدقيقة جداً، وفي كتاب يدور كله حول فن المفاوضات، فإن المرء يتوقع لها أن تحظى بقدر من الأهمية. غير أنها تبقى مجرد عوارض جانبية في سياق شجبه عرفات. فروس يلاحظ "أن المفاوضات لا

تجري في فراغ"، لكنه لا يلبث أن يشرع في تكوين فراغ حول الزعيم الفلسطيني.

لا شيء من هذا كله يخبرنا هل كان من شأن عرفات أن يتصرف بأسلوب مغاير في أوضاع مختلفة. غير أنني أجد أن معظم النقاش في شأن ما إذا كان قادراً أبداً على الوصول إلى اتفاق نهائي هو نقاش مغلوط فيه، وأنه من حيث تضميناته السياسية العامة مؤذ. فالبحث عن جوهر ثابت لزعيم ما أمر مستهجن، ويتناقض مع معظم تاريخ الشرق الأوسط المعاصر. وكما يلاحظ الوزير الإسرائيلي السابق، يوسي بيلين، في كتابه المعنون "الطريق إلى جنيف" (*The Path to Geneva*)، فإن الزعماء لا "تنزع الأقنعة عنهم"، وإنما هم يتطورون، فيقبلون في يوم ما كانوا رفضوه في يوم آخر، أو يقدمون على قرارات (مبنية في أحيان كثيرة على إرشاد سيئ بصورة مأساوية) على أساس معايير متغيرة. "ماذا كنا سنعرض من أمر السادات، لو شئنا أن نفعل؟" يسأل بيلين.

> *السادات الذي شن حرب يوم الغفران...؟ أم السادات الذي زارنا في تشرين الثاني/نوفمبر 1977، وأصبح فوراً الرجل الأوفر شعبية في إسرائيل...؟ أي براك نعرض؟... براك الذي كافح ضد القبول بدولة فلسطينية، أم براك الذي اعتبرها أمراً مفروغاً منه بعد ثلاثة أعوام؟... براك الذي أعلن يوم القدس أن المدينة لن تقسم أبداً، أم براك كامب ديفيد بعد شهرين؟*[6]

إن تركيز روس على بعد واحد في شخصية عرفات يبدو أكثر غرابة في كتاب يتسم، في معظمه، بإيراد الفوارق الدقيقة. كان قلمه حاداً في معظم الأوقات، لكنه متسامح في الغالب الأعم. بين سنة 1996 وسنة 1999، وضع نتنياهو العراقيل في وجه السلام ورفض أفكار كامب ديفيد وأفكار كلينتون. ومع ذلك، فإن روس يمنحه في النهاية تقويماً مختلطاً، إذ يقول إنه كان شخصاً عاجزاً عن "التوفيق بين طموحه إلى أن يكون صانع السلام التاريخي وبين واقع قبيلته السياسية، التي كانت تعتقد أن السلام مع الفلسطينيين غير ممكن." وإذ يكتب روس عن المفاوضات الإسرائيلية – السورية سنة 1999 في شيبردستاون، يبين – كما فعل كلينتون من قبل – أن التسوية كانت وشيكة، لكن براك، الذي كان في البداية تواقاً جداً إلى التوصل إلى حل تاريخي، انتقل فجأة من النقيض إلى النقيض "مع تزايد المعارضة الداخلية للتسوية مع سورية." ويذكر روس الملاحظة القاسية والمحزنة التي أبداها عضو بارز في الفريق الإسرائيلي بعد نحو عامين: "لقد تغير الشرق الأوسط عندما تلقى براك في شيبردستاون نتائج الاستطلاع التي جعلت بتّ تسوية مع سورية أكثر إشكالية مما كان يعتقد."[7] مع ذلك يلاحظ روس بكل بساطة أن براك تصرف كما تصرف "لأسباب كانت وجيهة في نظره."

حتى حافظ الأسد، وهو ليس من الشخصيات المفضلة عند روس، الرافض بصورة

منهجية، وخلافاً لعرفات، التعامل مع الإسرائيليين، يحظى بمعاملة أكثر تعاطفاً من الزعيم الفلسطيني. فبعد اجتماع شيبردستاون، وفي محاولة أخيرة لتحقيق سلام إسرائيلي – سوري، طلب كلينتون من الأسد الاجتماع به في جنيف في آذار/مارس 2000. وفي هذه المرة، بحسب روس، جاء الرئيس السوري مصمماً على رفض التسوية، أية تسوية. ومع ذلك، فهو يفسر سلوك الأسد قائلاً: "كان أمامه أمر أساسي أكثر للمعالجة. كان منشغلاً بالخلافة." ولا يحاول روس في أي من هذه الحالات تحليل موقف هذا الزعيم أو ذاك بإماطة اللثام عن نياته الثابتة. فالتوقيت، والضغوط الداخلية، والحسابات المتغيرة، والحسابات المغلوط فيها، والديناميات الشخصية، ومتغيرات المفاوضة، كلها أمور يأخذها روس في الحسبان بالنسبة إليهم جميعاً، باستثناء عرفات.

للإنصاف، يسلط روس الضوء على عامل يعتقد أنه يفرد عرفات على حدة: ففي نظره، كانت اقتراحات كلينتون في كانون الأول/ديسمبر 2000 آخر فرصة لعرفات. فاستناداً إلى هذه المقترحات تنسحب إسرائيل من قطاع غزة، ومن 49٪ – 69٪ من الضفة الغربية. وتضم إسرائيل الـ 4٪ – 6٪ المتبقية، بما يتيح لها الاحتفاظ بالمستوطنات الكبرى وبنحو 80٪ من المستوطنين. وكتعويض جزئي يحصل الفلسطينيون على أراض في إسرائيل نفسها تتراوح بين 1٪ و3٪ من الضفة الغربية من أجل إنشاء دولة مساوية في الحجم لنحو 79٪ من الضفة الغربية. أمّا في القدس الشرقية فتقع الأحياء اليهودية والعربية على التوالي تحت كل من السيادة الإسرائيلية والفلسطينية. وتُطرح أمام اللاجئين الفلسطينيين عدة خيارات، ويبقى استيعاب [قسم منهم] في إسرائيل أمراً خاضعاً لقرارها.

من المنظور الفلسطيني كان هذا الاقتراح أفضل على كل الصعد مما عُرض في كامب ديفيد، وإن كان أقل من تطلعاتهم في مضمارين: فقد كانوا يطالبون بالاعتراف المبدئي الكامل بحق اللاجئين في العودة، وإن كانوا مستعدين للقبول بقيود على العدد الذي يقبل، كما أنهم ألحوا في تبادل متكافئ للأرض بحيث لا يعانون جرّاء أية خسارة في الأراضي (ويقول روس في معارضة هذا المطلب الأخير:

> *أردت أن أعالج ما يحتاج إليه كل جانب، لا ما يريده كل جانب، ولا ما كان يشعر بأنه حق من حقوقه... كنت أؤيد بقوة ضم 6٪ – 7٪ من الأراضي، ولم أكن مستعداً لا لخفض هذا السقف، ولا لطرح فكرة التبادل المتكافئ.*

إلاّ إنه لا يفسر أبداً كيف قدّر حاجات كل جانب، أو لماذا كان على الفلسطينيين أن يقبلوا بهذا التبادل غير المتكافئ، أو ما هي الأسس التي تسوّغ حرمانهم من إعادة 100٪ من الأراضي على غرار مصر والأردن، وأسوة بما عرض على سورية).

عندما قدم كلينتون مقترحاته، لم يكن أمامه سوى بضعة أسابيع في السلطة؛ ولم يكن أمام براك أكثر كثيراً من ذلك.

> *لم يكن الأمر في هذه الحالة تكتيكاً أو مساومة... فقد حصل عرفات على أفضل صفقة يمكنه الحصول عليها. ولم يكن في وسعه الحصول على أكثر، لكنه بات يطلب المحال.*

في ذلك الوقت كان الأمر واضحاً تماماً في نظر القادة الأميركيين والإسرائيليين. وفي نظرة استرجاعية، أضحى ذلك واضحاً وضوحاً مؤلماً لكثيرين غيرهم، وفي جملتهم الفلسطينيون. لكن هل كان ذلك واضحاً لعرفات يومها؟ كان يرى، من جهة، الانتفاضة والغضب الفلسطيني المتفجر الذي بدا أسهل على الاستغلال بقدر ما كان أصعب على التهدئة، وغياب الضغط العربي أو الفلسطيني للقبول بالمقترحات. ومن جهة أُخرى وُضع أمام مهلة نهائية عجولة من رئيس أميركي مغادر، ورئيس حكومة إسرائيلية مغادر – ومكروه – للقبول بصفقة مثيرة للاهتمام لكن غير كاملة. وبالنسبة إلى رجل لم يكن في أي وقت رجل استراتيجيا أو تفكير بعيد المدى، لكن كان رجلاً يسعى لبلوغ أقصى ما هو ممكن من مكاسب في المدى القصير، ولا يتحرك، مثلما يلاحظ روس، إلاّ عندما تبدو كل الخيارات الأُخرى مغلقة، فإن الوضع، على الرغم من جاذبية الصفقة، لم يكن يبدو في نظره، على الأرجح، فرصة أخيرة. ففي نظره، كانت المشكلة الفلسطينية باقية، ومقوماتها الأساسية لن تتغير، وسوف يتوجب على أي رئيس أميركي ورئيس حكومة إسرائيلية أن يتناولاها بالمعالجة.

وكان الوضع القائم يتضمن بعض المزايا السياسية (باستطاعته [عرفات] أن يمتطي موجة المعاناة والكفاح المسلح الفلسطيني لكسب المزيد من المكانة المحلية والدولية)، بينما القبول بالصفقة ينطوي على مخاطر محتملة. كان انتظار يوم آخر يبدو له رهاناً أسلم. وفي هذا كله لم يكن عرفات وحده تماماً. فعلى الرغم من زعم روس أن المفاوضين الفلسطينيين الآخرين كان سيقبلون بالصفقة، فإن ثمة أدلة وافية على أن الأوسع نفوذاً بينهم التزموا موقفاً سلبياً منها، أو كانوا ينشطون بقوة ضدها. وإذ وازن عرفات موقفه في ذلك الوقت في مقابل المكاسب المفترضة في اتفاق مفترض، اتبع سليقته السياسية – مخطئاً لسوء الحظ.

على أية حال، وكما يتبين من رواية روس، فقد تجمع عند الزعيم الفلسطيني بعض الأسباب للشك في أن ما يعرضه كلينتون هو أفضل ما يمكن أن يتوقعه. ففي كامب ديفيد، على ما يتذكر روس، بدايةً بلّغ كلينتون عرفات أنه بسبب المستوطنات والمصالح الأمنية الإسرائيلية، لم يكن في وسعه أن يعرض سيادة فلسطينية على أكثر من 90٪ من الضفة الغربية، إضافة إلى مبادلة رمزية في الأراضي، والسيادة الفلسطينية على "بضعة أحياء خارجية من القدس الشرقية." ثم ما لبث أن أعاد النظر

في اقتراحه وعرض أن يحصل الفلسطينيون على 91٪ من الضفة الغربية ويعوضوا عن ذلك بأراض إسرائيلية بنسبة 1٪ من الضفة الغربية، فضلاً عن السيادة الفلسطينية على عدة أحياء عربية في القدس ذاتها. لكنه قال إن هذا هو أبعد ما يمكن أن تصل إسرائيل إليه (سأل جورج تينيت، مدير وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية يومها عند سماعه النبأ، "لِمَ لم يقبل عرفات بهذا؟"). وبعد كامب ديفيد بعدة أسابيع، بلّغ روس عرفات أن براك "سيحتاج إلى ضم 7٪ – 8٪ من الضفة الغربية... ويعوض عنها بنسبة 2٪." وبعيد ذلك، وبكل ثقة، أخبر مفاوضاً فلسطينياً بشكل سرّي، استناداً إلى ما كان سمعه من الإسرائيليين:

> *أنت تعرف أنني لم أضللكم قط... أنا متأكد تماماً من أن الإسرائيليين لن يتنازلوا عما هو دون 7٪ من الضم... في مقابل تعويض بمقدار 2٪. لن تجدوا أفضل من هذا.*

وفي مساء ذلك اليوم، بلغ الإسرائيليون الفلسطينيين أنهم قد يقبلون بضم 5٪ (يقول روس أنه استشاط غضباً عند سماع ذلك، وإن كان صب غضبه على الإسرائيليين لإعطائهم آخر نسبة مقترحة من جانب الولايات المتحدة، بدلاً من أن يصبه على الولايات المتحدة وعلى نفسه إذ نقل [العرض الإسرائيلي] بصورة ميكانيكية). وكما سبقت الإشارة، فإن مقترحات كلينتون في كانون الأول/ديسمبر 2000 – أي في "الذروة الختامية" للمفاوضات – كانت تشتمل على ضم 4٪ – 6٪ من الضفة الغربية، و1٪ – 3٪ من التعويض في الأراضي، وسيادة فلسطينية على كامل القدس الشرقية العربية. وخلال تلك الفترة، لم تعرض الولايات المتحدة على الفلسطينيين أية خريطة (في موضع معين من كتابه يعترف روس بـ "أننا لم نكن نعرف المنطقة جيداً، ولا كيف يمكن لكل نسبة مئوية من الأرض أن تؤثر في مستوطنات أو في طرق محددة")، ولم تحدد أية مناطق ستضمها إسرائيل، ولا ما هي المناطق التي ستحصل عليها فلسطين كتعويض. تجاه كل هذه العروض "النهائية" المتغيرة، وتجاه مواقف تبدو أقل تجذراً في المنطق من تجذرها في تقويمات متأرجحة للمسافة التي تبدو إسرائيل مستعدة لاجتيازها في التنازل، فمن غير المستغرب أن يكون عرفات قد رأى، على ما عبر عنه أمبروز بيرس مرة، في كل إنذار طلباً أخيراً قبل التنازل التالي. والظاهر أنه لم يتوقع أن يُستخدم مراراً وتكراراً قبول إسرائيل بشروط كلينتون ورفضه لها دليلاً قاطعاً على أنه لم يقبل بهذه الصفقة، وإنما على أنه لم يكن يريد أية صفقة على الإطلاق.

خامساً

من قبيل المصادفة، يصدر كتاب روس في وقت يتزايد النقاش داخل إسرائيل بشأن حسن وسوء استعمال المعلومات الاستخباراتية فيما يختص بعرفات، وبشأن

كيفية تأثير ذلك في قرارات سياسية حاسمة – وهو نقاش لا يخلو من شبه بالمناقشات الدائرة في الولايات المتحدة عن فشل الاستخبارات الذريع في حال العراق. يرى عاموس مَلْكا، رئيس الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية من سنة 1998 إلى سنة 2001، أن الفكرة القائلة بأن عرفات رفض مقترحات السلام سنة 2000 وأطلق الانتفاضة لأنه يرفض التسوية السلمية القائمة على دولتين، ولأنه يحلم بإنشاء فلسطين كبرى، إنما هي فكرة غير صحيحة، وتستند إلى تشويه تعمدته الاستخبارات لغايات سياسية.

إن الاستنتاجات التي خلص إليها ضباط الاستخبارات الإسرائيلية خلال 2000 – 2001 لم تكن قط متعاطفة مع الزعيم الفلسطيني. فهو، في خرق للالتزامات التي قطعها على نفسه في أوسلو، لم يتخل عن إمكان استخدام العنف؛ وما إن اندلعت الانتفاضة حتى اختار أن يمتطيها بدلاً من أن يحاول إنهاءها. غير أن مَلْكا وآخرين استنتجوا بصورة متماسكة أن عرفات ظل ملتزماً الحل الدبلوماسي، الذي كان يعتبره الخيار الواقعي الوحيد، والذي تابعه طوال أعوام، وأنه لم ير في العنف إلاّ وسيلة لتحقيق غاية سياسية، لا لإنهاء دولة إسرائيل؛ وأنه كان مستعداً للتوصل إلى حل يقضي بقيام دولتين على أسس أفضل من تلك التي اقترحت في نهاية عهد كلينتون، وإن لم تختلف عنها اختلافاً جذرياً.[8] واللافت أن روس لا يقدم في أي مكان من كتابه نظرية بديلة مما يمكن أن يكون الهدف النهائي لعرفات منذ أوسلو غير تسوية تتضمن دولتين يتم التوصل إليها من خلال المفاوضات.

إن نتائج الرأي القائل بأن الفلسطينيين رفضوا مقترحات كل من كامب ديفيد وكلينتون لأنهم يرفضون وجود دولة يهودية باتت واضحة. فقد ساهمت، مع الانتفاضة، في تقويض حركة السلام الإسرائيلية، وجردت المفاوضات من الشرعية، وضيقت بصورة خانقة طيف الخيارات التي أصبحت الولايات المتحدة وإسرائيل مستعدتين للنظر فيها.

نظراً إلى كل ما حدث في الشرق الأوسط منذ أن ترك روس وظيفته، فإن جواً من التجريد وشبه السريالية يطغى على النقاشات بشأن ما كان في وسعه أن يفعله بصورة مختلفة. إن إدارة بوش، بتركها الشعبين الإسرائيلي والفلسطيني يتواجهان من دون تدخّل، قوضت فعلياً كل ما عمل روس على إنجازه، متنكرة لمبدأين مركزيين: الالتزام الفاعل بالسلام العربي – الإسرائيلي، والإيمان بقوة الانخراط الأميركي وأهميته.

إن جوهر هذا الانخراط ليس أمراً يستهان به، وعن هذه النقطة تتباين آراؤنا بعض الشيء. فأنا أعتقد أن على الولايات المتحدة أن تدفع الجانبين إلى إنهاء صراعهما، بدلاً من أن تنتظر حتى يصبحا مستعدين نوعاً ما لأن يقوما بذلك؛ وعليها أن تبني على

مقترحات كلينتون لتحديد مكونات صفقة مقبولة، بدلاً من التوجه نحو خطوات تراكمية؛ وعليها أن تسعى لتشكيل تحالف واسع مع الأوروبيين، وبصورة خاصة مع الحلفاء العرب، لتنفيذ هذه الخطة، بدلاً من الانفراد بالعمل. ومع ذلك، وعلى امتداد عهد كلينتون، وبفضل روس إلى حد غير يسير، فإن التزام الولايات المتحدة عملية السلام، والحوار الإسرائيلي – العربي، ظلا قائمين ومحميين. والآن، بعد سقوط 3000 قتيل فلسطيني و900 قتيل إسرائيلي منذ أن تولى بوش منصبه، ومع ابتعاد آمال حل مبني على دولتين أكثر فأكثر، ترى كم بقي من الأمرين؟

8 أيلول/سبتمبر 2004

المصادر

(1) في ملاحظة جانبية محيرة، يذكر روس أنه خلال عهد نتنياهو تبين للإدارة الأميركية "أننا لا نستطيع المضي في مقاربة الخطوة خطوة التي ميزت عملية أوسلو. لا نريد، ولا يسعنا، أن نتخلى عن أوسلو، لكن العملية باتت عرضة لأفعال تقوض الثقة خطوة خطوة. لذلك ينبغي لنا أن نحاول مقاربة متسارعة إلى الوضع النهائي." لكن، وعلى الرغم من هذا الاستبصار، "عدنا في النهاية إلى موقف شبيه بأوسلو"، من دون أن تبذل أية محاولة لمعالجة المشكلات الملازمة لهذا الموقف.

(2) بشأن هذا الموضوع، أنظر: Hussein Agha and Robert Malley, "The Last Negotiation," *Foreign Affairs*, May/June 2002.

(3) بحلول آذار/مارس 2000، كانت المفاوضات الإسرائيلية – السورية قد وصلت في الجوهر إلى قضية واحدة: هل ستنسحب إسرائيل إلى الحدود التي كانت قائمة عشية حرب 1967، أو تحتفظ بالسيادة على شريط من الأرض على امتداد الشاطئ الشمالي الشرقي لبحيرة طبرية لحماية خزان الماء الأساسي للبلد. أصر براك على شريط من الأرض عرضه بضع مئات من الأمتار؛ وتمسك الأسد بمطلب العودة إلى حدود 1967. وتوصل كلينتون في مناقشات داخلية مع فريقه إلى حل وسط يقضي بأن تحظى سورية بسيادة اسمية على الشريط، على أن يصبح منتزهاً دولياً للسلام لا يخضع لسيطرة أي من الطرفين. وفي جنيف، وبعد إلحاح براك، اختارت الولايات المتحدة أن تتقدم بهذا الاقتراح، لكن الأسد رفضه.

(4) أنظر: Hussein Agha and Robert Malley, "Camp David: The Tragedy of Errors," *The New York Review*, August 9, 2001.

(5) *Shattered Dreams: The Failure of the Peace Process in the Middle East, 1995-2002*, translated by Susan Fairfield (Other Press, 2003).

(6) أنظر: Yossi Bellin, *The Path to Geneva* (RDU Books, 2004).

(7) يعلق كلينتون على الموضوع نفسه، لكن بلمسته الخاصة المتعاطفة، قائلاً، "لم يمض على انخراط براك في السياسة فترة طويلة، واعتقدت أنه تلقى نصحاً سيئاً جداً."

(8) يقول ملكا: "افترضنا أن من الممكن التوصل إلى اتفاق مع عرفات وفق الشروط التالية: دولة فلسطينية عاصمتها القدس وسيادة على الحرم الشريف؛ 97٪ من الضفة الغربية إضافة إلى تبادل الأراضي بنسبة 1:1 فيما يخص بقية الأراضي؛ صيغة ما تتضمن إقرار إسرائيل بمسؤوليتها عن مشكلة اللاجئين والاستعداد للقبول بـ 20.000 – 30.000 منهم." أنظر: Akiva Eldar, "Popular Misconceptions," *Haaretz*, June 11, 2004.
و"عرض" على عرفات في كامب ديفيد، كما تقدم، 91٪ من الضفة الغربية إضافة إلى تبادل يساوي 1٪، أي نسبة 9:1. أمّا مقترحات كلينتون فتضمنت السيادة الفلسطينية على 94٪ – 96٪ من الضفة الغربية إضافة إلى تبادل 1٪ – 3٪، كون الغرض من ذلك نسبة تتراوح بين

2:1 و4:1. لكن كلا الاقتراحين لا يتضـــمن الســـماح بعودة عدد يعتد بـه من اللاجئين إلى إسرائيل.

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي: majallat@palestine-studies.org
يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:
http://www.palestine-studies.org/ar/mdf